قصة إنفلونزا الطيور

أو «فرانكشتاين القرن الـ ٢١»

هل تذكر قصة فرانكشتاين؟.. تلك القصة الخيالية المشهورة التى تقول إن عالمًا صنع مخلوقًا وسماه فرانكشتاين، وذلك من تركيبة اخترعها، المهم فجأة ودون أى مقدمات دبت الحياة فى فرانكشتاين هذا، وبدأ يدمر المعمل ثم البيت ثم ما حول البيت من حدائق ومزارع، وطبعًا هذا المخلوق كان اختراعًا وخيالاً كما أن إنفلونزا الطيور اختراع وخيال.. فرانكشتاين فيروس إنفلونزا سيتزوج فيروسًا آخر فى خنزير ثم يهاجر مرة مع بطة وأخرى مع أوزة ثم يصيب امرأة ثم طفلاً ثم شيخًا ثم شابًا ثم يصيب ١٠٠ مليون ويدمرهم، ثم أطلق لخيالك العنان كما شئت فلا روابط ولا أسباب ولا مسببات ولا مقدمات ولا نتائج مترتبة عليها كله كلام جنان فى جنان.. وإليك القصة.

د. مصطفى فايز

أستاذ علم الأدوية

انتشار مرض إنفلونزا الطيور فى مصر أثبت أننا: لا نجيد فن إدارة الأزمات، وأننا نتعامل مع الكوارث بعصبية زائدة لا تجوز

أولا: كانت سقطات الإعلام والعلماء، كان الجميع مع التخبط وعدم الفهم، وبالتالى عدم إدارة الأزمة إدارة صحيحة، وكان الجميع يتميز بالعصبية، وقد طالعتنا الصحف بالعناوين المخيفة والبراقة التالية:

١- حظر استيراد الطيور ومنتجاتها.

٢- تشديد الإجراءات لمنع دخول المرض للبلاد.

٣- إعداد نشرة علمية عن المرض وتوزيعها.

٤- سرعة إبلاغ الهيئة فى حالة الاشتباه ٣٠٪ نفوق خلال ٣ أيام).

٥- تشكيل لجنة علمية من المتخصصين بالدواجن ومن المعاهد والجامعات لتحديد العينات المطلوبة وطرق الفحص والتشخيص فى حالة الاشتباه.

٦- التنسيق مع معهد بحوث الأمصال واللقاحات لسرعة تجهيز اللقاح اللازم لتحصين الدواجن.

٧- متابعة المرض مع مراكز: FAO, WHO, OIE.

طاعون الطيور المدمر:

- اكتشف عام ١٨٧٨ بإيطاليا تحت مسمى طاعون الطيور.
- ثبت فى عام ١٩٥٥ أنه أحد فيروسات الإنفلونزا شديدة الضراوة.
- كان معروفًا منذ الثلاثينيات فهو ليس مرضًا جديدًا.
- كان قد استؤصل من البلاد بالتحصينات الدورية بلقاح ميت منتج محليًا.

الفوبيا المضحكة:

يجب أن نعترف أننا لم نستطع أن ندير أزمة إنفلونزا الطيور لأننا لا تجيد فن التعامل مع الأزمات والدليل:

- الشدة والتسرع والعصبية غير المبررة فى مواجهة أحداث أو هوجة إنفلونزا الطيور.
- إعدام آلاف الطيور بصورة عشوائية وهستيرية.
- القضاء على الثروة الداجنة.
- تدمير الاقتصاد المتدهور أصلا.
- خراب بيوت الملايين الذين يعيشون على تربية الدواجن أو بيعها.
- ارتفاع أسعار الأعلاف وانعدام الرقابة فى آن واحد.

إن الموقف يتطلب الهدوء والتفكير المتعقل...

لقد اختلط الحابل بالنابل وارتبك الأداء في مواجهة وباء إنفلونزا الطيور رغم علمنا مسبقًا:

- بغزو هذا الفيروس.
- ومن أين يأتى؟
- وماذا يجب عمله للحيلولة دون انتشاره بين الدواجن؟
- وهل يصيب الإنسان أم لا؟
- وإذا حدث ماذا يمكن عمله؟!

ثم ظهرت علينا أعداد كبيرة من غير المتخصصين للإدلاء بدلائهم فى هذا الموضوع، كأنها مباراة فى كرة القدم، وكانت النتيجة هذا الارتباك وهذه البلبلة فى مواجهة أحد الأمراض العادية.

بدأ الانتهازيون فى استغلالها كل لمصلحته، وبدأ إطلاق الشائعات لتحقيق هذه المصلحة، فمنهم من أطلق شائعة:

١- انتقال الفيروس إلى الإنسان وبالتالى لا بد من شراء عقار التام، تم شراؤه بملايين الدولارات ثم تم إعدامه لانتهاء فترة الصلاحية بعد فترة.

٢- مياه الشرب أصبحت غير صالحة نتيجة إلقاء الدواجن المصابة فى النيل أو الترع.

ونحن نلاحظ أن مشكلة إنفلونزا الطيور هى ثلاث مشكلات يجب الفصل بينها وهى:

١- المشكلة الاقتصادية:

هى إصابة الدواجن بهذا الفيروس H5N1 الذى تسبب فى الخسائر الآتية سوف يتسبب فى:

- إصابة أعداد كبيرة من الطيور ونفوقها والتخلص من أعداد أخرى لمنع انتشار المرض.
- ارتفاع أسعار أنواع البروتين الأخرى مثل اللحوم والأسماك وغيرها نتيجة لاختفاء الدواجن.
- الدمار الذى أصاب إحدى أهم الصناعات فى مصر وهى صناعة الدواجن التى بدأت منذ أوائل الستينيات.

٢- المشكلة الصحية:

هى تخيل إمكان انتقال الفيروس القاتل من الدواجن إلى الإنسان.

هنا يمكن القول إن فيروس إنفلونزا الطيور هو فيروس خاص بالطيور ولا ينتقل إلى الإنسان إلا فى حالات نادرة جدًا.

وقد تأكد أن الفيروس معروف منذ القدم وقد أصاب الطيور فى مصر نفسها، ولم نسمع أن الفيروس ينتقل إلى الإنسان أو أصاب الناس.

وقف المواطن حائرًا محاصرًا من جميع الجوانب:

- هل يأكل الدواجن أم لا؟
- هل يأكل البيض أم لا؟
- هل يشرب المياه أم لا؟

وليس هناك من يستطيع مساعدته أو يأخذ بيده؛ لأنه فقد الثقة فى الجميع سواء المتخصصين أو غير المتخصصين أو أجهزة الإعلام المختلفة سواء الحكومية أو غير الحكومية.

والسبب يرجع إلى أننا نتعامل مع هذه الكارثة -كارثة إنفلونزا الطيور- ونخلط بينها وبين الكوارث

عندما ظهرت مشكلة إنفلونزا الطيور عام ٢٠٠٦، تحدث فيها الجميع، المتخصصون وغير المتخصصين.. ما جعل الساحة تشتعل بالفوضى والخيال.

السابقة التى أصابت الإنسان، وبدأ تحويل موضوع إنفلونزا الطيور إلى إنفلونزا الإنسان.

وهناك فرق شاسع بين الاثنين، لكن يتم الخلط بينهما سواء عن طريق التعمد أو الجهل لذا فإنه من الواجب توضيح الموقف أمام المواطنين حيث إن إنفلونزا الطيور متخصصة فى الطيور والتاريخ يقول:

- فى عام ١٩٩٧ فى هونج كونج ولأول مرة تم تسجيل انتقال الفيروس إلى الإنسان؛ حيث انتقل الفيروس إلى ١٨ شخصًا مات منهم ٦ فقط، وثبت منذ ذلك الحين أن:
- الفيروس ينتقل بصورة نادرة إلى الإنسان، فى الوقت نفسه ثبت أنه لا ينتقل من شخص إلى آخر كما يحدث فى الإنفلونزا العادية.
- فى عام ١٩٩٩ حدث وباء آخر H1N2 فى الصين وهونج كونج، وانتقل المرض إلى طفلين تم شفاؤهما.
- فى عام ٢٠٠٢ حدث وباء آخر H7N2 فى أمريكا ولم يصب إلا شخص واحد.
- فى عام ٢٠٠٤ حدث وباء فى تايلاند وفيتنام أى فى دولتين، وكانت إصابة البشر لا تتعدى ٣٥ مريضًا مات منهم ٢٣ فردًا.
- فى عام ٢٠٠٤ حدث وباء فى كندا ولم تتعد إصابة البشر إلا

بعض الالتهابات فى العيون، من العاملين فى مزارع الدواجن.

لذلك فكل الإصابات حدثت بين العاملين فى مزارع الدواجن أو الأطفال الذين يلعبون مع هذه الدواجن، والجدير بالذكر أن فى مصر لم يصب أى فرد يعمل فى مزارع الدواجن.

انتقال المرض إلى الإنسان:

وبالنظر إلى هذه الإحصائيات التى تم نشرها بواسطة منظمة الصحة العالمية يتضح أن:

- انتقال المرض إلى الإنسان عملية نادرة أو غير موجودة أو وهمية ابتدعتها هيئة الصحة العالمية وصدقناها نحن.
- الإنسان الذى يصاب بإنفلونزا الطيور في الغالب تكون مناعته منخفضة كالإصابة بأمراض: «الصدر أو القلب أو الكلى أو السكر أو الأنيميا».
- بالإضافة إلى ذلك يجب أن يكون الإنسان مختلطًا بصفة مباشرة ودائمة بالدواجن المصابة.

انتقال هذا الفيروس إلى الإنسان يخضع لأحد القوانين المعروفة فى علم المناعة وهو ما يسمى بظاهرة الحواجز النوعية، أى إن هناك حاجزًا نوعيًا لانتقال الميكروبات وبالذات الفيروسات من حيوان إلى إنسان أو من حيوان إلى حيوان آخر فمثلا:

- البلهارسيا تصيب الإنسان ولا تصيب الحيوان.
- فيروس شلل الأطفال يصيب الأطفال ولا ينتقل إلى الكلاب أو القطط مثلا وكذلك إنفلونزا الطيور تصيب الطيور ولا تسبب المرض للإنسان.
- فيروس النيوكاسل مرض الفرة أو الشوطة) القاتل للطيور لا ينتقل إلى الإنسان إلا فى حالات نادرة. مثلما يحدث مع إنفلونزا الطيور.
- فيروس الالتهاب الكبدى الوبائى في الإنسان لا ينتقل إلى الحيوان.

إذن السؤال:

لماذا هذا الذعر الذى حدث بين المواطنين في مصر والخوف الذى انتابهم من احتمال انتقال الفيروس من الطيور إليهم.

٣- المشكلة العلمية:

هو ما أثاره علماء الفيروسات فى الخارج، وهى تعتبر إلى الآن مشكلة نظرية ومشكلة احتمالات يمكن حدوثها فى المستقبل، وهى احتمال كسر الحاجز النوعى في موضوع إنفلونزا الطيور ويصبح

فيروس الطيور أيضًا قاتلا للإنسان، وهذا نوع من الخيال العلمى لا أكثر؟

شرح العلماء كيف يمكن حدوث ذلك والنظرية تقول:

إن فيروس إنفلونزا الطيور القاتل للطيور يمكن أن ينتقل إلى الخنازير أو إلى الإنسان، وفى الوقت نفسه قد يصاب الخنزير أو الإنسان بفيروس إنفلونزا الإنسان غير القاتل للإنسان، حيث يندمج الفيروسان داخل الخنزير أو الإنسان ليتكون فيروس آخر جديد يستطيع أن يصيب الإنسان ويكون قاتلا له.

وهذا السيناريو سيناريو خيالى بالطبع، يمكن أن يحدث أو لا يحدث «أين ومتى؟» كله فى علم الغيب؛ مع أن هذا السيناريو غير محتمل حدوثه، فإن منظمة الصحة العالمية قامت بحملة كانت أقرب إلى التخويف والإرهاب أكثر من العلم والتوعية وكانت توصى خطأ بالآتى:

- التخلص من الطيور المصابة فورًا.
- عدم مخالطة الطيور المصابة.
- منع وصول الفيروس إلى الإنسان أو الخنزير حتى لا يحدث الاندماج.

وللأسف فإن البعض بدأ يتحدث فى هذا الموضوع كأنه حقيقة واقعة وبالتالى اعتقد البعض أن فيروس إنفلونزا الطيور المسمى H5N1 يمكن أن يتحول إلى فيروس قاتل للإنسان، ما سبب الذعر عند المواطنين.

عندما انطلقت شائعة إلقاء الدواجن النافقة فى النيل، اعتقد الناس أن من سيشرب مياه الحنفيات سوف يصاب بالفيروس، وهذا الاعتقاد خاطئ للآتى:

- مياه النيل ليست ملوثة بالطيور فقط لكن بالحيوانات الأخرى والكل يعرف ذلك.
- محطات تنقية مياه الشرب لها نظام دولى معروف لتنقية المياه وتطهيرها من الميكروبات قبل وصولها إلى المستهلك.

فيروس إنفلونزا الطيور موجود فى مصر منذ القدم.. ولم نسمع يومًا أن إنسانًا أصيب به- ما يشكك فى آراء من قالوا بانتقاله من الطيور إلى الإنسان

وليس معنى ذلك أن نسمح بإلقاء الدواجن النافقة فى النيل والترع والمصارف، على العكس يجب عدم إلقائها خوفًا من:

- الاستخدام المباشر لهذه المياه الملوثة سواء لشرب الطيور أو الحيوانات أو الإنسان.
- تلوث الأوانى المنزلية فى هذه الترع.
- غير ذلك من الأغراض الأخرى.

مناشدة:

أناشد كل المسئولين وأجهزة الإعلام والمواطنين أن نركز جهودنا فى الجانب الأهم من المشكلة وهو:

- كيفية مقاومة هذا المرض فى الطيور ومنع انتشاره تحسبًا لآثاره الاقتصادية الخطيرة على:
  - أصحاب المزارع.
  - العاملين بها.
  - تجار التجزئة.

ولا بد من وضع حلول لما يأتى:

- كيفية التخلص من الطيور النافقة.
- ما الذى سوف يتم فى باقى الأماكن التى لم يظهر فيها المرض؟
- نشر الوعى والطمأنينة وتأكيد أن لحوم الدواجن سليمة ولا تنقل الإنفلونزا؛ لأن هذا الكلام غير علمى تمامًا.
- كذلك نشر الوعى وتأكيد أن بيض الدواجن أحسن غذاء للكبار والصغار،

فيجب أن نتعلم ألف باء الأمراض وألف باء الغذاء وألف باء الدواء من أول من البداية.